ثالثا: المؤسسون الاوائل لعلم النفس الجنائي:

1. في نفس الوقت الذى ظهرت فيه أعمال منستربرج اسس فرنالد Fernald احد علماء النفس الامريكيين اول عيادة نفسية متخصصة في علاج الاحداث الجانحين عام 1909م وذلك بالتعاون مع هيلي Healy احد الاطباء النفسيين الامريكيين تحت اسم مؤسسة الاحداث السيكوباتيين، وكانت مهمة هذه المؤسسة تقديم الاستشارات والتشخيصات الإكلينيكية لمشكلات الاحداث، وقد تطورت هذه المؤسسة وتغير اسمها عام 1914م إلى معهد خدمات الاحداث الجانحين، وقد استخدم هيلي وفرنالد اختبار بينيه في تحديد نسبة ذكاء الاحداث ولكنهما شعرا شعورا قويا بالحاجة الى اختبارات ذكاء أدائية وأصدرا عام 1911م اختبارا لقياس الذكاء العملي ولهذا الاختبار قيمة تاريخية كبيرة.

2. وشارك العديد من علماء النفس في المجال الجنائي وذلك بتطبيق الاختبارات النفسية المختلفة على الاحداث والمجرمين وذلك بناء على طلب السلطات القضائية وشهدت فترة ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية نهضة كبيرة في هذا المجال، وكان الاختصاصيون في علم النفس يعملون مع الاطباء النفسيين في المؤسسات التي تساهم في تشخيص حالات انحراف الاحداث وعلاجها، بحيث يمكن القول إن دورهم كان في الصف الثاني بعد الاطباء النفسيين وقد انخرطت في هذا المجال نسبة كبيرة من النساء.

3. ومن جهة أخرى بدأ توفير الخدمات النفسية في سجون مدينة نيويورك عام

1913م وفى عام 1916م تم إنشاء المختبر السيكوباتي ملحقا بقسم الشرطة في مدينة نيويورك وكانت مهمة هذا المختبر إجراء الفحوص الطبية والنفسية للسجناء وكانت هيئة العمل مكونة من الاطباء النفسيين والاخصائيين النفسيين والاخصائيين الاجتماعيين.

4. وكان لويس تيرمان أول عالم نفس يطبق الاختبارات النفسية على المتقدمين للعمل بالشرطة عام 1916م في ولاية كاليفورنيا وفي إحدى المرات كان عدد المتقدمين للشرطة 30 شخصا وطبق عليهم اختبار ستانفورد- بينيه وكانت أعمار المتقدمين تتروح بين 21-38 سنة وكانت غالبية المتقدمين من مستويات تعليمية متدنية ومما يجدر ذكره أن ثلاثة فقط من بين المتقدمين الثلاثين كانت نسبة الذكاء عندهم أعلى من 100 أي أعلى من المتوسط في الذكاء ، حيث المتوسط 100 وكانت نسب ذكاء غالبيتهم متدنية بين 68 و 84 وقد استبعد من المتقدمين ذوي نسب الذكاء المتدنية.

5. وفي بدايات القرن العشرين اهتم علماء النفس كذلك بدراسة كيفية تفسير السلوك الاجرامي والتعرف على أسباب الجريمة، وقد دارت هذه الدراسات في دائرة القياس النفسي من ذلك أنه في عام 1914م اسفرت دراسات اجراها جودارد أن معظم الجانحين سواء كانوا

من الاحداث أو الكبار تتدنى نسبة الذكاء لديهم عن المتوسط بحيث ظهر اتجاه تفسيري يربط بين الجريمة وتدني نسبة الذكاء.

هذا وقد ساهم بعض علماء النفس في تفسير السلوك الاجرامي وذلك في اطار نظرياتهم التي قدموها تحت مسمى نظريات الشخصية، ومن هؤلاء فرويد وغيره من منظري الشخصية.

رابعا: المساهمات الاولى في عملية المحاكمة:

1. في بداية القرن العشرين وقبيل الحرب العالمية الاولى كان الاهتمام بتطبيق علم النفس الجنائي في مجالات مختلفة منها مجال عملية المحاكمة، وقد قام فارندونك Varendonck أحد علماء النفس في بلجيكا عام 1911م بفحص لشهادة جنائية في قضية مثيرة حيث اتهم احد الاشخاص بارتكاب جريمة اغتصاب وقتل طفلة في التاسعة من عمرها ، وكان شهود القضية طفلين كل منهما في حدود العاشرة من أصدقاء المجنى عليها، وقد برهن فارندونك على عدم دقة استرجاع الاطفال في هذه السن للأحداث مما شكك المحلفين في شهادة الطفلين، واعتبر المتهم غير مذنب وبرئت ساحته.

ونشر شترن عام 1939م دراسة عن أخطاء عملية التذكر عند الاطفال وعند الكبار واشار الى أنها قد تعود الى أساليب الاستجواب ذات الطابع الايحائي سواء من هيئات الدفاع او هيئة الاتهام .

2. وفى عام 1911م قام كارل مارب Marbe بتقديم استشارات علمية للجهات القضائية عن الوقت المنصرم بين ظهور المثير وحدوث الاستجابة أي زمن الرجع بحيث برئت ساحة سائق أحد القطارات ارتكب حادثة واتهم بالإهمال واتضح عدم إهماله وأن الحادثة راجعة بسبب وجود فرق زمني بين ظهور المثير وحدوث الاستجابة ، وفى نفس السنة قدم مارب استشارة في قضية أخرى حيث وضح لهيئة المحكمة أن شهادة الاطفال الجنائية تنقصها الدقة وتؤثر عليها القابلية للإيحاء، وكانت هذه القضية حساسة حيث توجه الاتهام إلى بعض مدرسي أحد المدارس الالمانية بالتحرش الجنسي بالتلميذات، وقد أقنع مارب المحكمة بأن الادعاءات الصادرة من التلميذات ضد مدرسيهم غير دقيقة بحيث برئت ساحة المدرسين.

3. وخلاصة القول أنه في هذه الفترة ، أي بداية القرن العشرين وخلال الحرب العالمية الاولى اهتم علماء النفس بتطبيق الاختبارات النفسية في المجال الجنائي وذلك تماشيا مع نهوض حركة القياس النفسي في تلك الفترة كما ساهموا في تقدير كفاءة الشهادة الجنائية.

خامسا: القانون وعلم النفس:

1. دخل علم النفس الجنائي مرحلة جديدة عندما أفسحت بعض كليات القانون المجال لدراسته، ففي عام 1922م عيّن وليم مارستون Marston على وظيفة استاذ علم النفس القانوني في الجامعة الامريكية، ويعتبر مارستون اكثر علماء النفس الامريكيين تأثيرا في تلك الفترة في المجال الجنائي، ومن أكثرهم تقديرا في الأوساط العلمية والقضائية، وقد حصل

على درجة البكالوريوس والدكتوراه في القانون من جامعة هارفارد، وقد درس علم النفس على يد منستربرج ورغم أن دراسته كانت في مجال القانون أصلا إلا أن اهتمامه بعلم النفس غلب عليه كما عمل مارستون باحثا في مختبر علم النفس في كلية راد كليف وأجرى عام 1917م دراسة كشفت عن العلاقة بين محاولة الكذب وارتفاع ضغط الدم ، وهذا البحث متصل اتصال وثيقا بموضوع جهاز كشف الكذب واستخدامه في المجال الجنائي ، وقد تابع البحوث في مجال كشف الكذب و كان عادة ما يناقش المهتمين بالشؤون الجنائية مثل رجال القضاء والمحامين والشرطة، كما اشترك في تقديم الاستشارات العلمية لبعض المؤسسات العلمية المهتمة بدراسات الجريمة.

وقد قام مارستون بالعديد من الدراسات الجادة حول نظام المحلفين القضائي قصد مساعدتهم في الوصول الى فهم الجوانب النفسية المتعلقة بالشهادة والمحاكمة وما شابه ، وقد لاقت بحوثه نجاحا وترحيبا أكثر بكثير من بحوث منستربرج ويرجع ذلك الى خلفية مارستون القانونة وقدرته الفائقة على تطويع المعلومات ذات الطابع السيكولوجي لخدمة الموضوعات الجنائية ، ورغم ذلك فان الجهات القضائية لم تأخذ بنتائج دراساته الا في حيز محدود.

ونذكر في هدا المقام كذلك العالم الامريكي دونالد سلزنجر Slesinger الذى كان له نشاط في المجال الجنائي في فترة ما بعد الحرب العالمية الاولى ، حيث قام بالتدريس في كلية القانون في جامعة ييل عام 1927م ولمدة سنوات كان يدرس مقررا في موضوع علم النفس الجنائي يتضمن موضوعات مثل سيكولوجية الشهادة والعلاقة بين الذكاء والجريمة وكيفية كشف أساليب الخداع في اقوال الشهود أو المتهمين وتفسير السلوك الاجرامي، وفى عام 1930م انتقل سلزنجر الى جامعة شيكاغو حيث اصبح عميدا لكلية القانون بتلك الجامعة.

2. وخلال الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين عرف علم النفس الجنائي كغيبره من فروع علم النفس التطبيقي الاخرى فترة ركود ولم يستأنف النشاط العلمي فيه الا في نهاية الاربعينات وبداية الخمسينات، ومن أهم أحداث هذه الفترة الهادئة ظهور كتاب يحمل عنوان علم النفس الجنائي أو القانوني من تأليف هوارد بيرت عام 1931م وهو أحد المشتغلين بعلم النفس ومن الذين درسوا على يد منستربرج ورغم أن هذا الكتاب أسهم إسهاما طيبا إلا أن تأثيره كان محدودا على أفراد الهيئة القضائية.

3. وفى أوائل الاربعينات كانت المؤسسات العقابية في الولايات المتحدة تضم حوالي مائتي ألف نزيل، وكان عدد الاختصاصيين في علم النفس الذين يقدمون لهم الخدمات النفسية قليل لا يتجاوز الثمانين ، وكانت هذه الخدمات محصورة في تطبيق الاختبارات النفسية والقيام بالإرشاد والتوجيه المهني والتعليمي وكان هذا الارشاد والتوجيه عادة ما يتم بناء على طلب السجين.

4. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية قام العديد من علماء النفس بإسهامهم في المجال الجنائي ، وقدموا الاستشارات العلمية بخصوص تقييم الشهادة القضائية، وكذلك أسهموا في

الفحص النفسي والفحص الطبي النفسي للمجرمين ، كما قدم علماء النفس خبرتهم عن أثار ما تكتبه وسائل الاعلام عن وقائع جريمة معينة على المتهم وعلى المحلفين، وليس معنى ذلك أن الاخصائي النفسي أصبح جزءا من الهيئة القضائية، ولكن أصبح له العديد من المساهمات في هذا المجال.

وفى هذه الفترة كان تقدير مدى المسؤولية الجنائية للمجرم أمر يقرره الطبيب النفسي ، وهذه المسؤولية كانت تسقط جزئيا أو كليا إذا كان المجرم مريضا بمرض عقلي او نفسي.

5. ومنذ نهاية القرن العشرين اصبح علم النفس الجنائي تخصصا مستقل بذاته وفرعا رئيسا من فروع علم النفس ففي سنة1961م اصدر توش Toch كتابا بعنوان علم النفس الجنائي والقانوني والذي يعتبر بحق المؤلف الاول في علم النفس الجنائي لما يحتويه من موضوعات لها صلة بعلم النفس وفي سنة 1964م اصدر هانز ايزنك Eysenck كتابه الجريمة والشخصية الذي نظر فيه للجريمة من وجهة نظر علم النفس.

لذلك فإن معرفة تاريخ علم النفس الجنائي هو ربط لحاضر هذا العلم بماضيه وهو تعريف للدارس بأن هذا الفرع من علم النفس بدأ مثل الفروع الاخرى متواضعا وهو الان تخصص له المراجع والدوريات بل والموسوعات العلمية.

أسباب نشوء علم النفس الجنائي:

1.أدى الاهتمام بالجوانب النفسية للمجرم إلى نشأة هذا العلم.

2.عجز المؤسسات الاجتماعية في إيجاد الحلول المناسبة للحد من سلوك المجرم وثنيه عما أراد.

3.شكوى المجتمعات من تكاثر وتطور الجريمة في المجتمع الصغير والكبير.

4.فشل مؤسسات التربية والتعليم صغيرها وكبيرها في بعض الدول عن احتواء المراهقين وتعديل سلوكهم.

5.رؤية بعض علماء النفس والتربويين البحث والتقصي في مثل هذه القضايا التي أرهقت كاهل الشعوب والأمن في كثير من دول العالم.